حديث القرآن عن الأسباب الرئيسية لجريمة الشذوذ الجنسي، من خلال قصة نبي الله لوط . _عليه السلام_

ويشتمل على خمسة مطالب.

المطلب الأول: وصفهم بالإسراف

المطلب الثاني: وصفهم بالعدوان

المطلب الثالث :وصفهم بالجهل

المطلب الرابع: وصفهم بالإفساد

المطلب الخامس: وصفهم بالإجرام

المبحث الأول

حديث القرآن عن الأسباب الرئيسية لجريمة الشذوذ الجنسي، من خلال قصة نبي الله لوط. _عليه السلام_

وردت قصة لوط –عليه السلام– مشتملة على هذه الكبيرة في تسع سور من سور القرآن الكريم بأساليب متنوعة، هي على حسب ترتيب سور القرآن كما يلي: سورة الأعراف، وهود، والحجر، والشعراء، والنمل، والعنكبوت، والصافات، والذاريات، والقمر، بمجموع آيات ثلاث وثمانين آية، متحدثة بتمامها عن هذه القصة.

وقد ذكر لوط باسمه في القرآن الكريم سبعًا وعشرين مرة في أربع عشرة سورة هي كما يلي: الانعام، الاعراف، هود الحجر، الانبياء، الحج، الشعراء، النمل، العنكبوت، الصافات، ص، ق، القمر، التحريم[١].

والمتتبع لهذه الجريمة في القرآن الكريم يجد بأن الله _سبحانه وتعالى_قد ذكر بعض الأوصاف لهذه الفئة التي فشا فيها هذا اللون من الشذوذ الجنسي في كتابه العزيز بأوصاف مختلفة، كانت هذه الأوصاف سببًا رئيسيًا في انتشار هذه الجريمة بينهم، نيهك أيها القارئ الكريم عن الأسباب العامة للشذوذ الجنسي والتي تتمثل في ١–الترف مثلا والإنسان المترف هو من كان منعم في البدن، وهو: الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش. وأترفته النعمة أي أطغته.٢–وعد إثارة الشهوات عموما وعدم أثارة الشهوات هذا يتحقق بعدة أمور منها على سبيل المثال، غض البصر وعدم الإختلاط بين الرجال والنساء إلا لضرورة، وعدم إبداء الزينة، والتبرج والسفور٣– صرف الطاقة الزائدة في موطنها الطبيعي فإذا لم تصرف في موطنهاالطبيعي فعلى الإنسان المسلم أن يبذل ما في وسعه لتفريغ هذه الطاقة فيما شُرعت له وإلا فعليه مثلا بالصوم كما أمرت السنة، وعليه أيضًا

(١) تيسير التفسير(٢/٢٣٠).بتصرف.

أن يشغل وقت فراغه فيما يفيد، وعلى المجتمع أن ييسر أمر الزواج للشباب، وما إلى غير ذلك مما لا يسع الحديث لذكره[1].

وعودًا على ما سبق: فإن من أهم الأسباب الرئيسية لجريمة الشذوذ الجنسي، من خلال قصة نبي الله لوط -عليه السلام-، أن الله -عزوجل- وصفهم بما يلي:

المطلب الأول: **وصفهم بالإسراف**:

وإليه الإشارة **بقوله تعالى** :﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [2].

يقول صاحب المفردات ما نصه :" والسرف: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، وسمي قوم لوط مسرفين، من حيث إنهم تعدوا في وضع البذر في الحرث المخصوص له"[3].

ويقول الطاهر بن عاشور عن الإسراف والسرف ما مفاده: أن الإسراف والسرف: هو تجاوز الكافي من إرضاء النفس بالشيء المشتهى... والإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مذمات كثيرة، وينتقل من ملذة إلى ملذة فلا يقف عند حد [4].

فكانت عادتهم الإسراف في كل شيء، حتى تعدوا ما أحل الله لهم من النساء إلى ما حرمه الله عليهم من إتيان الذكور، وهو باب من أبواب الإسراف التي طرقوها حتى أصبحت سمة أساسية من سماتهم.

---

(١) أسس التربية الجنسية في الإسلام (ص٦٢) فما بعدها بتصرف كبير.تأليف:الدكتور: عزب محمد على عليوه.

(٢) سورة الأعراف آية (٨١).

(٣)المفردات في غريب القرآن (ص٤٠٧/٤٠٨).

(٤) التحرير والتنوير (١٢٢/٨/ ١٢٣).

ويقول الإمام الزمخشري:" فهم أسرفوا في باب قضاء الشهوة، حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد[١].

فلم يحملهم على هذا الفعل الفاحش إلحاح شهوة بل اعتيادهم وإلفهم لمجاوزة الحدود، فهم قوم قد تمكن منهم هذا الإسراف في الشهوات حتي إنهم يشتهون أشياء غريبة تنفر منها الطباع وتأباها الفطرة السليمة.

يقول الإمام ابن كثير _رحمه الله_ ما نصه:" أي عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال وهذا إسراف منكم وجهل لأنه وضع الشيء في غير محله" [٢].

ويقول الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي: "أي: أنتم أيها القوم لستم ممن يأتي الفاحشة مرة ثم يهجرها ويتوب إلى الله بل أنتم قوم مسرفون فيها وفي سائر أعمالكم، لا تقفون عند حد الاعتدال في عمل من الأعمال[٣].

(١)الكشاف للزمخشري (١٢٥/٢).
(٢) تفسير ابن كثير(٣٩٩/٣).
(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٣١٦/٥).

المطلب الثاني: **وصفهم بالعدوان**.

ورد هذا الوصف في **قوله تعالى** :﴿ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴾ [(١)] **أي** : متجاوزون لحدود الفطرة وحدود الشريعة.

يقول الإمام الرازي: "والعادي هو المتعدي في ظلمه، ومعناه: أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك، أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه الفاحشة"[(٢)].

وعن دقة التعبير بالجملة الإسمية وجماله.

يقول صاحب التحرير والتنوير: " وفي التعبير بالجملة الاسمية في قوله : ﴿ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴾ دون أن يقول: بل كنتم عادين، مبالغة في تحقيق نسبة العدوان إليهم، وفي جعل الخبر قوم عادون دون اقتصار على عادون تنبيه على أن العدوان سجية فيهم حتى كأنه من مقومات قوميتهم. وعدوانهم هو خروجهم عن الحد الموضوع بوضع الفطرة إلى ما هو مناف لها محفوف بمفاسد التغيير للطبع"[(٣)].

وأضاف القاسمي معنى آخر في عدوانهم بأنهم تجاوز حد الحكمة في ترك محل الحرث، الحافظ للنسل، الذي به حفظ النوع البشري، وإيثار ما لم يخلق لذلك، شرها في الشهوة الحيوانية، ومكافحة لتغيير الأوضاع الربانية[(٤)].

فهو إفساد لسنة الخلق والتكوين الذي هو من عمل الشياطين.

---

(١) سورة الشعراء آية (١٦٦).

(٢) مفاتيح الغيب (٥٢٦/٢٤).

(٣) التحرير والتنوير(١٨٠/١٩).

(٤) محاسن التأويل (٤٧٠/٧).

المطلب الثالث: **وصفهم بالجهل**:

والجهل على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: وهو خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل.

والنوع الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.-

والنوع الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا.ومصطلح الجاهل تارة يذكر على سبيل الذم، وهو الأكثر، وتارة لا على سبل الذم[(١)].

وقد وورد هذا الوصف لقوم لوط _ عليه السلام_ على سبيل الذم، وذلك في **قوله تعالى** :﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[(٢)] والجهل هنا يشمل الجهل بنوعيه الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو بمعنى السفه والطيش.

يقول الخلوتي: " بحيث لا تعملون بموجب علمكم فإن من لا يجرى على مقتضى بصارته وعلمه ويفعل فعل الجاهل فهو والجاهل سواء، فأنتم منسلخون عن مقتضى الإدراك المميز للإنسان عن سائر الحيوانات العجم إذ لا يتأتى منها أمثال هذه الا من الحمار الأرذل"[(٣)].

فإهمالهم للعقول التي أنعم الله بها عليهم غلبت عليهم الشهوات فباتوا يظهرون التزين بالفواحش، ويجاهرون بالقبائح، ويغلبون الأخلاق البهائمية مع أن الله أنعم عليهم بالعقل فعُلم من ذلك أنهم فعلهم هذا فعلم المبالغين في الجهل.

بل إنهم لانتكاس فطرتهم وإلغاء عقولهم تمكن منهم الجهل فصاروا لا يميزون بين الحسن والقبيح أصلا.

---

(١) المفردات للراغب (ص٢٠٩) بتصرف كبير.

(٢) سورة النمل آية (٥٥).

(٣) روح البيان (١١٩/٢).

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي:" فلجهالتهم بعواقب الأمور لا يقدرون ضرر ذلك على الصحة والحياة، فهو مرض مميت، كما دلّت إحصاءات موتى الإيدز (فقد المناعة) في الحاضر أكثر من مائة ألف، وفي نهاية القرن العشرين أربعة ملايين، دون اكتشاف علاج له، فكيف تقبلون أيها الشواذ إتيان الرجال من غير النساء، فهذا شذوذ جنسي، وانتكاس للفطرة، وترك لما أحل الله لكم من الاستمتاع بالنساء، والحقيقة أنكم قوم جهلاء سفهاء، لا تعرفون شيئا لا طبعًا ولا شرعًا، وتجهلون عاقبة هذا الأمر الشنيع، ولا تميزون بين الحسن والقبيح، فتفضلون العمل الشنيع على المباح لكم من النساء[١].

ولا يكفي العلم بضرر الأشياء ليكون رادعًا مرهبًا من التلبس بها بل لابد من التحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق والرجوع إلى صفاء الفطرة ونقائها.

يقول الشيخ رشيد رضا: " فالعلم بالضرر وحده لا يكفي ليصرف عن السوء والفساد، إذا حرم صاحبه الفضائل ومكارم الأخلاق، بل الفضائل الموهوبة بسلامة الفطرة، عرضة للفساد بسوء القدوة، إلا إذا رسخت بالفضائل المكسوبة بتربية الدين، فإننا نعلم أن هذه الفاحشة فاشية بين أعرف الناس بمفاسدها ومضارها في الأبدان والأنفس ونظام الاجتماع من المتعلمين على الطريقة المدنية العصرية، حتى الباحثين في الفلسفة منهم، فقد بلغني عن بعضهم أنه قال لأخدانه: إن هذه الفعلة لا تحدث نقصا في النفس الناطقة! ! ونقول: يا لها من فلسفة فاسقة أليسوا يستخفون بها من الناس حتى أشدهم استباحة للشهوات كالإفرنج لكي لا ينتقصوهم ويمتهنوهم؟ أو ليسوا بذلك يشعرون بنقص أنفسهم الناطقة ودنسها، فإن لم يشعر الفاعل، أفلا يشعر القابل؟ بلى ولكن قد يجهل كثير من الأحداث الذين يخدعون عن أنفسهم بهذه الفاحشة أنهم يصابون بداء الأبنة، حتى إذا كبر أحدهم وصار لا يجد من الفساق من يرغب في إتيانه للاستمتاع به يبحث هو في الخفاء عمن يؤجر نفسه لهذا العمل من تحوت

(١)التفسير المنير (٣٢٣/١٩).التفسير الوسيط للزحيلي(٦٨٩/١) بتصرف.

الفقراء وأراذل الخدم...ولا يزال هذا الشخص يذل ويخزى في مساومة أفراد هذه الطبقة السفلى على نفسه حتى يفتضح أمره في البلد، ويشتهر بل يشهر بين سائر طبقات الناس، فإن أكثر التحوت الذين يعلونه لا يخجلون من إفشاء سرهم معه؛ ولأنه كثيرا ما يعرض نفسه على من ليس منهم ويراودهم بالتصريح، إذا لم يعرضوا عنه عندما يبدأ به من التعريض والتلويح[١].

إذن: فمجموع الآيات يدل على أنهم كانوا مصابين بفساد العقل، وانحطاط الخلق، وإيثار الغي والعدوان على الرشاد والتدبر، بجمعهم بين الإسراف والعدوان والجهل، فلا هم يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجناية على النسل وعلى الصحة وعلى الفضيلة والآداب العامة ولا غيرها من منكراتهم - فيجتنبوها أو يجتنبوا الإسراف فيها - ولا هم على شيء من الحياء وحسن الخلق يصرفهم عن ذلك[٢].

(١) تفسير المنار (٤٥٥/٨/٤٥٧) بتصرف.

(٢) تفسير المنار (٤٥٥/٨/٤٥٧) بتصرف، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣١٦/٥).

المطلب الرابع: وصفهم بالإفساد:

وإليه الإشارة **بقوله تعالى** :﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝ ﴾ (١).

يقول الإمام الراغب: والفساد: هو خروج الشيء عن حد الاعتدال، قليلا كان الخروج عنه أو كثيرًا، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فسد فسادًا وفسودًا(٢).

ومن خطاب نبي الله لوط _عليه السلام_ لقومه يتضح أن الفساد قد استشرى وانتشر فيهم بكل أشكاله. فهم كانوا يأتون الفاحشة الشاذة القبيحة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين،

كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء. وهي فاحشة شاذة قذرة قبيحة تدل على انحراف الفطرة وفسادها. فالفطرة الإنسانية قد تفسد بتجاوز حد الاعتدال والطهارة مع المرأة، وهذا فساد في التركيب النفسي الفطري والتركيب العضوي. والله _عزوجل_ قد جعل لذة المباشرة والمعاشرة الجنسية بين الزوجين متناسقة مع خط ونمط الحياة الأكبر، وامتداده بالنسل الذي ينشأ عن هذه المعاشرة الطبيعية.

فكانوا يفسدون كل برهان نقلي أوعقلي ، وكل حكمة ربانية إلهية، بطرق كثيرة وكيفية معينة.

يقول الإمام الزمخشري عنها: كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعًا وكرهًا ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم ... فأراد لوط_عليه السلام _أن يشتد غضب الله عليهم، فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه (٣).

ويقول الإمام البيضاوي ما معناه: وصفهم الله بهذا الوصف لأنهم ابتدعوا هذه

---

(١) سورة العنكبوت آية (٣٠).

(٢) المفردات (ص٦٣٦).

(٣) الكشاف للزمخشري (٣/٤٥٢).

الفاحشة وسنهوها فيمن جاء بعدهم، وصفهم سيدنا لوط _عليه السلام_ بذلك مبالغة في استنزال العذاب وإشعارا بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب. أ.ه(١).

وكما هو معلوم أن الله _عزوجل_ لا يحب المفسدين، حتى ينجز النصر.

يقول الإمام الرازي ما نصه:" واعلم أن نبيا من الأنبياء ما طلب هلاك قوم إلا إذا علم أن عدمهم خير من وجودهم، كما قال نوح :﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢) يعني المصلحة إما فيهم حالا أو بسببهم مآلا ولا مصلحة فيهم، فإنهم يضلون في الحال وفي المآل فإنهم يوصون الأولاد من صغرهم بالامتناع من الاتباع، فكذلك لوط لما رأى أنهم يفسدون في الحال واشتغلوا بما لا يرجى معه منهم ولد صالح يعبد الله، بطلت المصلحة حالا ومآلا، فعدمهم صار خيرا، فطلب العذاب" (٣).

وفي خطاب نبي الله لوط _عليه السلام _ لهم يظهر أن الفساد قد انتشر واستشرى فيهم بكل أشكاله وأنواعه، فتارة يفسدون أنفسهم بابتداع الفاحشة وتارة بسنها فيما بعدهم، وهو سبب من أسباب استنزال العذاب بهم.

وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور:" ووصفهم بالمفسدين لأنهم يفسدون أنفسهم بشناعات أعمالهم ويفسدون الناس بحملهم على الفواحش وتدريبهم بها"(٤).

وعن سبب وصفهم بهذا الوصف أيضا يقول الإمام الآلوسي ما نصه :" وإنما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب"(٥).

---

(١) تفسير البيضاوي (١٩٣/٤).

(٢) سورة نوح الآية (٢٧).

(٣) التفسير الكبير (٥٠/٢٥).

(٤) التحرير والتنوير(٢٤١/٢٠).

(٥) روح المعاني(٣٥٩/١٠).

المطلب الخامس: **وصفهم بالإجرام**.

ورد هذالوصف بطريق التنكير وذلك في **قوله تعالى** :﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨ ﴾﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٣٢ ﴾ [(1)]، في " سورة الحجر" وتكرر بنصه في سورة الذاريات.

فالمعني بهذا الوصف هم قوم لوط _عليه السلام_، وجيء بهم بطريق التنكير ووصفوا بالإجرام استهانة بهم وذما لهم؛ لأنهم ذوي جرائم، وهي كبار المعاصي من كفر وغيره[(2)].

والسؤال هنا هل يختلف الوصف بالإجرام عن الوصف بالإسراف؟ هذه واحده، والثانية: فإن قيل: إذا كانت الحجارة مسومة للمسرفين، كما قال الله على لسان الملائكة بعد هذه الآية: فكيف قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم؟

وللإجابة عن هذا التسأل يقول الإمام الرازي _ رحمه الله _ ما ملخصه: المسرف غير المجرم في اللغة؟ نقول المجرم هو الآتي بالذنب العظيم لأن الجرم فيه دلالة على العظم ومنه جرم الشيء لعظمة مقداره، والمسرف هو الآتي بالكبيرة، ومن أسرف ولو في الصغائر يصير مجرمًا؛ لأن الصغير إلى الصغير إذا انضم صار كبيرًا، ومن أجرم فقد أسرف لأنه أتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة فالوصفان اجتمعا فيهم.لكن فيه لطيفة معنوية، وهي أن الله تعالى سومها للمسرف المصر الذي لا يترك الجرم والعلم بالأمور المستقبلة عند الله تعالى، يعلم أنهم مسرفون فأمر الملائكة بإرسالها عليهم، وأما الملائكة فعلمهم تعلق بالحاضر وهم كانوا مجرمون

(1) سورة الحجر آية (٥٨) والذاريات (٣٢).
(2) البحر المحيط (٥٥٧/٩).وروح المعاني (٣٠٧/٧).

فقالوا إنا أرسلنا إلى قوم نعلمهم مجرمين لنرسل عليهم حجارة خلقت لمن لا يؤمن ويصر ويسرف ولزم من هذا علمنا بأنهم لو عاشوا سنين لتمادوا في الإجرام[١].

وعن علة وصفهم بهذا الوصف، يقول الدكتور وهبه الزحيلي ما نصه:" كانوا يتعاطون المنكر، ويأتون الرجال شهوة من دون النساء، فاستحقّوا أن يوصفوا بالمجرمين"[٢].

والخلاصة: أن الإسراف والجهل والعناد والإفساد كانت ولا تزال في كل عصر ومصر، من أهم أسباب انتشار هذه الظاهرة الخبيثة في مجتمعاتنا المعاصرة، كما كانت سببًا رئيسًا في انتشار هذه الظاهرة بين قوم لوط.

(١) مفاتيح الغيب (١٨٠/٢٨).

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي(١٢٢٩/٢).